٤ - فصل

خلافة المهدى[1]

[٥٥] اسمه محمد بن المنصور . حدثنا داود بن رشيد قال : قلت للهيثم بن عدى : بأى شيء استحق سعيد بن عبد الرحمن أن ولاه المهدى القضاء وأنزله منه تلك المنزلة الرفيعة ؛ فقال : إن خبر اتصاله بالمهدى ظريف فإن أحببت شرحته لك ، قلت: والله قد أحببت .

قال : اعلم أنه وافى الربيع الحاجب حين أفضت الخلافة إلى المهدى وقال له استأذن لى على أمير المؤمنين فقال له من أنت وما حاجتك ؟ قال أنا رجل قد رأيت لأمير المؤمنين أعزه الله رؤيا صالحة وقد أحببت أن تذكرنى له ، فقال الربيع : ياهذا إن القوم لايصدقون فيما يرونه لأنفسهم فكيف بما يراه لهم غيرهم فاحتل بحيلة غير هذا ، فقال : إن لم تخبره بمكانى سألت من يوصلنى إليه وأخبره أنى سألتك الإذن لى عليه فلم تفعل فدخل الربيع على المهدى فقال له يا أمير المؤمنين إنكم قد أطمعتم الناس فى أنفسكم فقد احتالوا عليكم بكل ضرب فقال له المهدى : هكذا تصنع

---

(١) محمد بن عبد الله بن محمد بن على العباسى ، المهدى : من خلفاء الدولة العباسية ، ولد بإذنج (من كور الأهواز) ولى الخلافة بعد وفاة أبيه وبعهد منه [١٥٨هـ] كان محمود العهد والسيرة ، محببا إلى الرعية ، جوادا . وكان يجلس للمظالم ويقول : أدخلوا على القضاة فلو لم يكن ردّى للمظالم إلا حياءً منهم لكفى . وهو أول من مشى بين يديه بالسيوف المتصلة والقسى والنشاب . وهو الذى بنى جامع الرصافة . وأقام فى الخلافة عشر سنين وشهرا ، ومات فى ماسبذان [١٦٩هـ = ٧٨٥م] . انظر: دول الإسلام للذهبى (٨٦/١) ، تاريخ الطبرى (١٠/١١-٢١) .

الملوك فماذا ؟ قال: رجل بالباب يزعم أنه رأى لأمير المؤمنين أيده الله رؤيا حسنة وقد أحب أن يقصها عليك ، فقال المهدى : ياربيع انى والله أرى الرؤيا لنفسى فلا تصح لى فكيف يمكن ادعاؤها ممن لعلة قد افتعلها ، قال : والله قلت له مثل هذا فلم يقبل ، قال : هات الرجل .

قال : فأدخل عليه سعيد وكان له رؤية ، وجمال ، ومروءة ظاهرة ، ولحية عظيمة ، ولسان طلق . فقال له : ما رأيت بارك الله فيك ؟ قال رأيت ياأمير المؤمنين آتياً أتانى فى منامى ، فقال : أخبر أمير المؤمنين أنه يعيش ثلاثين سنة فى الخلافة ، وآية ذلك أنه يرى فى ليلة الآتية فى منامه كأنه يقلب ياقوتيت ثم يعدها فيجدها ثلاثين ياقوتة كأنها قد وهبت له . فقال المهدى : ما أحسن مارأيت ونحن نمتحن رؤياك فى ليلتنا المقبلة على ماأخبرتنا ، فإن كان الأمر على ماذكرت أعطيناك فوق ماتريد وإن كان الأمر بخلاف ذلك لم نعاقبك ؛ لعلمنا أن الرؤيا الصالحة ربما صدقت وربما اختلفت . قال : ياأمير المؤمنين فما أصنع أنا الساعة إذا صرت إلى منزلى وعيالى وأخبرتهم أنى كنت عند أمير المؤمنين أكرمه الله ثم رجعت صفر اليد ، فقال له : المهدى فكيف نعمل ؟ فقال : يعجل لى أمير المؤمنين أعزه الله تعالى ما أحب وأحلف له بالطلاق أنى قد صدقت ، فأمر له بعشرة آلاف درهم وأمر بأن يؤخذ له كفيل ليحضر من غد ذلك اليوم فقبض المال وقال له : من يكفلك فمد عينه إلى خادم حسن الوجه والزى وقال : هذا يكفلنى ، فقال له المهدى: أتكفله ياغلام ؟ فاحمر وخجل وقال : نعم يا أمير المؤمنين فكفله ، وانصرف سعيد بن عبد الرحمن بالعشرة آلاف درهم فلما كانت تلك الليلة رأى المهدى ماذكره له سعيد

حرفا بحرف وأصبح سعيد فوافى الباب واستأذن فأذن له ، فلما وقعت عين المهدى عليه قال له : أين مصداق ماقلت لنا عليه ، فقلت له : وما رأى أمير المؤمنين فضجع فى جوابه[1] ، فقال له : امرأتى طالق إن لم تكن رأيت شيئاً . قال له المهدى : ما أجرأك على هذا الحلف بالطلاق فقال لأنى أحلف على صدق قال له المهدى فقد والله رأيت ذلك مبينا ، فقال له سعيد : الله أكبر فانجزلى يا أميرالمؤمنين ماوعدتنى قال : حبا وكرامة ثم أمر له بثلاثة آلاف دينار وعشرة تخوت[2] ثياب من كل صنف وثلاثة مراكب من أنفس دوابه محلاة فأخذ ذلك وانصرف ، فلحق به الخادم الذى كان كفله ، وقال له : سألتك بالله هل لهذه الرؤيا من أصل ؟ فقال سعيد : لا والله، فقال الخادم : كيف وقد رأى أمير المؤمنين ماذكرته ، قال : هذا من المخاريف التى لا أب لها ، وذلك أنى لما ألقيت هذا الكلام خطر بباله ، وحدث به نفسه ، وأسرى به قلبه واشتعل به فكره ، ففى ساعة نام خيل له ماحل فى قلبه واشتغل به فكره فنام فرآه . فقال له الخادم : قد حلفت بالطلاق ، قال : قد طلقت واحدة وبقيت معى على ثنتين وأزيد مهرها عشرة دراهم ، وأتحصل على عشرة آلاف درهم ، وثلاثة آلاف دينار ، وعشرة تخوت من أصناف الثياب، وثلاثة مراكب فارهة ، فبهت الخادم وتعجب من ذلك . فقال له سعيد : قد صدقتك وجعلت ذلك مكافأتك على كفالتك فاستر على . ثم طلبه المهدى لمنادمته فنادمه وحظى عنده وقلده القضاء على العسكر فلم يزل كذلك حتى مات ،انتهى.

---

(١) فضجع فى جوابه : أبطأ فى الرد .

(٢) التَخْت : خزانة الثياب .

[٥٦] **ويحكى** : أن المهدى خرج يتصيد فسار به فرسه حتى دخل إلى خباء أعرابى فقال : ياأعرابى هل من قرى ؟ قال : نعم ، فأخرج له قرص شعير فأكله ، ثم أخرج له فضلة من لبن فسقاه ، ثم أتاه بنبيذ فى ركوة فسقاه قعبا[١] فلما شرب ، قال: ياأخا أتدرى من أنا ؟ قال : لا والله، قال: أنا من خدم أمير المؤمنين الخاصة ، قال: بارك الله فى موضعك ، ثم سقاه قعبا آخر فشربه ، فقال : ياأعرابى أتدرى من أنا ؟ قال : زعمت أنك من خدم أمير المؤمنين الخاصة ، قال : لابل أنا من قواد أمير المؤمنين قال: رحبت بلادك وطاب مرادك ، ثم سقاه ثالثا ، فلما فرغ منه ، قال : يا أعرابى أتدرى من أنا ؟ قال : زعمت أنك من قواد أمير المؤمنين ، قال : لا ولكنى أمير المؤمنين ، فأخذ الأعرابى الركوة[٢] وأوكاها[٣] وقال : والله لو شربت الرابع لادعيت أنك رسول الله ، فضحك المهدى حتى غشى علية ، وأحاطت به الخيل ونزلت إليه الملوك والأشراف فطار قلب الأعرابى ، فقال له : لا بأس عليك ولا خوف ثم أمر له بكسوة ومال .

[٥٧] **وقيل** : كان لأسماء بنت المهدى جارية ، يقال لها : كاعب وكانت بكراً ناهداً ذات حسن وجمال وقد[٤] واعتدال وكانت بنت ست عشرة ، سنة قال : فتلاعب عليها أبو نواس[٥] لينالها ، فتمنعت منه مراراً

---

(١) القَعْب : قدح ضخم .

(٢) رِكْوَة : إناء صغير من جلد لشرب الماء وغيره .

(٣) أَوْكَأَ : أى شدها بالوِكاء ، والوكاء الخيط الذى تشد به الصرة وتعلق منه .

(٤) قد : معتدلة القامة .

(٥) الحسن بن هانىء بن عبد الأول بن صباح الحكمى ، أبو نواس : شاعر العراق فى عصره، ولد بالأهواز من بلاد خوزستان ، ونشأ بالبصرة ورحل إلى بغداد فاتصل -

فظفر بها ليلة من الليالى فى ناحية من نواحى القصر فمسكها ، فبكت وقالت : الموت دون ذلك ، فقال أبو نواس : فى نفسه هذا جزع الأبكار فتركها مدة ، فاتفق أنه خرج من القصر ليلة ، وقد رقرق الدجى[1] فوجدها نائمة سكرى فتقرب منها وحل السراويل من وسطها ودهمها ، فإذا هى خالية من البكارة فارتاع وظن أن يكون أتاها دم فلم يجد ، و قام عنها وندم على ماكان منه وأخذ يقول[2] :

وناهدة الثديين من خدم القصر ... مرقوقة الخدين ليلة الشعر
كلفت بها دهرا على حسن وجهها ... طويلا وماحب الكواعب من أمرى
فمازلت بالأشعار حتى خدعتها ... وروضتها والشعر من خدع السحر
أطالبها شيئاً فقالت بعبرة ... أموت به داء ودمعتها تجرى
فلما تعانقنا توسطت لجة ... غرقت بها ياقوت فى لجج البحر
فصحت أغثنى ياغلام فجاءنى ... وقد زلقت رجلى ورحت إلى صدرى
ولولا صياحى بالغلام وأنه ... تداركنى بالحبل رحت إلى القعر
فاقسمت عمرى لا ركبت سفينة ... ولاسرت طول الدهر إلا على الظهر

فيها بالخلفاء من بنى العباس . قال الجاحظ : ما رأيت رجلا أعلم باللغة ولا أفصح لهجة من أبى نواس . قال الشافعى : لولا محون أبى نواس لأخذت عنه العلم . وهو أول من نهج للشعر طريقته الحضارية وأخرجه من اللهجة البدوية . ولابن منظور "صاحب اللسان" كتاب سماه "أخبار أبى نواس" ، ت[١٩٨هـ = ٨١٤م] . انظر : الشعر والشعراء ص ٣١٣ ، وفيات الأعيان (١/١٣٥) ، تاريخ بغداد (٧/٤٣٦) .

(١) رَقْرَقَ الدُجى : خف الظلام .

(٢) انظر : ديوان أبى نواس ص ٢٣٦ .

حكاية أجنبية

[٥٨] قال المبرد[١] : صعدت من البصرة إلى بغداد ، فمررت بدير العاقول[٢] فرأيت مجنونا فيه ، فلم أر قط أظرف منه ولاأحسن ثيابا ويده الواحدة على صدره ، فلما دنوت منه أنشأ يقول :

الله يعلم أننى كمد	لاأستطيع أبث ماأجد
روحان لى روح تملكها	بلد وأخرى حازها بلد
وأرى الصبابة ليس ينفعها	صبر وليس لمثلها جلد
وأظن ظاعنتى كشاهدتى	بمكانها تجد الذى أجد

فقلت : أحسنت والله لله درك يامجنون ، فأهوى لشئ يرمينى به فبعدت عنه ، فقال لى :أنشدتك ماتحبه واستحسنته ، وتقول لى : يامجنون وتكون مع الزمان على ، فقلت له : أخطأت ، فقال : إذن اعترفت بخطئك، ثم قال : أنشدك شعرا أيضا ، قلت : نعم فأنشأ يقول :

ما أقتل البين للحب وما	أوجع قلب المحب بالكمد[٣]
عرضت نفسى على البلاء لقد	أسرى فى مهجتى وفى كبدى
ياحسرة إذ أبيت معتقلا	بين اختلاج الهموم والسهد[٤]

---

(١) محمد بن يزيد بن عبد الأكبر ، أبو العباس المبرد : إمام العربية ببغداد فى زمنه . من كتبه ، الكامل ، شرح لامية العرب ، ت[٢٨٦هـ] . انظر : بغية الوعاة ص ١١٦ .

(٢) دير العاقول : دير بين مدائن كسرى ، والنعمانية بالقرب من بغداد .

(٣) البَيْن : الفرقة .

(٤) اختَلَجَ : شغلته الهموم والأرق . سُهْد : الأرق .

فقلت : أحسنت والله زدنا ، قال :

إن فتشوني فمحرق الكبد ... أو كشفوني فناحل الجسد
أضعف مابي وزادني ألما ... أن لست أشكو النوى إلى أحد

فقلت : أحسنت والله زدنا ، فقال : يافتى أراك كلما أنشدتك بيتا ، قلت : زدنا وماذاك إلا لمفارقة حبيب أو خل أريب ، ثم قال : أحسبك أبا العباس المبرد بالله ماهو أنت ؟ قلت : أنا ذلك فمن أين عرفتني ؟ فقال : وهل يخفى القمر ، ثم قال : ياأبا العباس أنشدني من شعرك شيئاً تنتعش به روحي فأنشدته قولي :

بكيت حتى بكى من رحمتي الطلل ... ومن بكائي بكت أعدائي إذ رحلوا[1]
يامنزل الحي أين الحي قد نزلوا ... نفسي تساق إذا ماسيقت الإبل
أنعم صباحا سقاك الله من طلل ... غيثا وجاد عليك الوابل الهطل
سقياً لعهدهم والدار جامعة ... والشمل ملتئم والحبل متصل
فطال ماقد نعمنا والحبيب بها ... والدهر يسعد والواشون قد غفلوا
قد غير الدهر ماقد كنت أعرفه ... والدهر ذو دول بالناس ينتقل
بانوا فبان الذي قد كنت آمله ... والبين أعظم مايبلى به الرجل
فالشمل مفترق والقلب محترق ... والدمع منسكب والركب مرتحل
كأن قلبي لما سار عيسهم ... صب به دنف أو شارب ثمل[2]
لما أناخو قبيل الصبح عيسهم ... وثوروها وسارت بالهوى الإبل

---

(١) الطَّلَل : الشاخص من الآثار ، جمعه أطلال .

(٢) العِيْس : الإبل البيض يخالط بياضها سواد خفيف . الدَّنِفَ : من ثقل مرضه ودنا من الموت. الثَّمِل : شدة السكر .

وقلبت من خلال السجف ناظرها ترنو إلى ودمع العين منهمل[1]

ياحادى العيس عرج كى أودعهم ياحادى العيس فى ترحالك الأجل

إنى وحقك لاأنسى مودتهم ياليت شعرى لطول العهد ما فعلوا

قال أبو العباس المبرد فلما أتممت شعرى ، قال لى : مافعلوا قلت ماتوا فصاح صيحة عظيمة وخر مغشيا عليه فحركته فوجدته قد مات رحمة الله عليه ، انتهى .

---

(١) السَجْف : الستر .